التضليل
تحت لواء التحرير

بقلم
د. رشيد كهوس
كاتب وباحث مغربي

■ إن صراع الحق والباطل والخير والشر والمستضعفين والمستكبرين؛ سنة من سنن الله في خلقه منذ وجد الإنسان على وجه الأرض إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ولهذا كلما أحس العدو بيقظة الأمة ومحاولة نهوضها من جديد، زرع الأشواك في طريقها، وضحى بالغالي والنفيس لعرقلة مسيرتها، وإرجاعها إلى سباتها.

ولهذا لما أحس لائكيو تركيا بأن الإسلام بدأ ينتشر في المجتمع التركي انتشار النار في الهشيم، - والأصل في المجتمع التركي الإسلام لا اللائكية المخربة للعقول والقلوب -؛ قاموا في صعيد واحد لمحاربة تلك الفريضة[1].

وهنا أقف ملياً لأقول للائكيي تركيا: قفوا قليلاً، وفكروا ولو لدقائق معدودة، وأنتم تعتبرون أنفسكم من دعاة التقدم والحضارة والرقي... ما العزة التي حققها لكم زعيمكم مصطفى كمال أتاتورك؟ وما هو التقدم الذي أوصله إليكم؟

أبعد ان كانت الدولة العثمانية التي كانت رأساً وتصوغ قراراتها بنفسها، وحافظة على هويتها الدينية والثقافية والحضارية... أصبحتم كما أراد لكم زعيمكم أذناباً - فمن يسوي بالرأس الذنبا - للغرب الصليبي الحاقد... فقدتم هويتكم ولغتكم العربية لغة القرآن، وفقدتم زيكم الإسلامي، وفقدتم أخلاقكم الإسلامية... فلا شك أن يكون حالكم كحال الغراب الذي أراد - كما زعموا - أن يقلد مشية الحمامة فلم يستطع، فأراد أن يرجع إلى مشيته فاختلطت عليه المشيتين فأصبح أقبح الطير مشيا. فتأملوا!

يقول المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي: «أما حركة

التغريب المتطرفة التي قادها مصطفى كمال أتاتورك، فإننا نشك فيما إذا كان بعد نظر أتاتورك الخيالي، وقدرته الشيطانية الموجهة قادرين وحدهما على زحزحة الأتراك من وضعهم المحافظ القديم، لو لم يواجه الأتراك بعد الحرب العالمية الأولى اختيارًا صعبًا لا يمكن الهروب منه: إما تغريب بدون تحفظ، وإما فناء محقق!

والحقيقة أن الهجوم الغربي المعاكس على العالم الإسلامي.. قد تأثر إلى حد كبير بالذكريات المرة التي كان يحملها الغربيون عن البسالة العسكرية المشهودة عند الأتراك والشعوب الإسلامية الأخرى»[٢].

ولو كان لكم - يا لائكيو تركيا - مقدار ذرة من عقل؛ لأدركتم حقيقة أتاتورك الذي دعاكم إلى خلع حجاب نسائكم وتعطيل شريعتكم وتوهين رابطتكم الدينية وجامعتكم الإسلامية، وهذا يكفيكم لتسارعوا إلى تحطيم تمثال (صنم) من أرجعكم مئات السنين إلى الوراء، إن استخدمتم عقولكم وتدبرتم حقيقة الأمر.

وحسبكم هواناً أن أوربا التي تعتزون بها وتسيرون على ظلامها رفضت انضمامكم إلى اتحادها لعشرات السنين! ساخرة منكم، وإن ظهرتم في زي التقدم والتخلص من أحكام الشريعة.

وهنا نقف مع بعض دعاة التحرر، الذين يدسون السم في الدسم، والذين يدعون إلى التخلص من قيود الشريعة ومبادئها.

أ - افتراءات وأباطيل لا أساس لها من الصحة:

إن اللائكيين يريدون إلغاء أحكام الشريعة باسم تحرير المرأة واسترجاع كرامتها، وأصبحوا بذلك يكشفون عن أنفسهم، ويتضح ذلك جليا في تطبيلهم مع فرنسا التي طردت مجموعة من الفتيات بسبب ارتدائهن الحجاب الإسلامي، وقالوا بهتانا وزورا وافتراء على الله سبحانه وتعالى إن القرآن لم ترد فيه آية واحدة تدل على أن الحجاب واجب.تعالى ربنا الكريم عما ما يقولون علوا كبيرا. والسبب الذي جعلهم يقولون بهذا البهتان، وهذا الكذب هو أنهم تلقوا دراهم من الصندوق الدولي، وتلقوا دروسا من اللائكية الغربية، فباعوا دينهم وروجوا هذه الأغاليط وهذه الإشاعات غير راعين في أمتهم إلا ولا ذمة.

وفي هذا الصدد يحضرني مقال لكاتب في جريدة الاتحاد الاشتراكي يدعى (محمد الطالبي التونسي)، ينكر الحجاب، بحجة أنه لم يرد نص قرآني يقول بذلك، يقول هذا الجاهل: «ماذا يقول القرآن عن الحجاب؟ لا شيء، لا شيء إطلاقا، فلا تجد فيه رأي موضع حديث عن رأس المرأة، وكلمة شعر لا وجود لها بكل بساطة والله لا يأمرنا بإخفاء الشعر ولا بالكشف عنه، ذلك الأمر لا يمثله انشغاله الرئيسي، فهو لم ينزل القرآن ليعلم الناس طريقة لباسهم، فلا شيء إذن في القرآن يأمر النساء بستر الشعر.

وكلمة الحجاب بالمعنى الذي يعطى له اليوم، لا يوجد ضمن القاموس القرآني، إذن الحجاب من ابتكار الشريعة، والقرآن يستعمل ثلاث كلمات تم تأويلها، في نظرنا بطريقة تعسفية، لكي تعطي الحجاب بمعناه الراهن: حجاب، جلباب وخمار (...)»[٣]. وهلم جرا من الافتراءات التي لا تستند إلى سند صحيح.

> كلما أحس العدو بيقظة الأمة ومحاولة نهوضها من جديد، زرع الأشواك في طريقها
>
> قضية الحجاب لا تحتاج إلى تأويل، فهي فريضة ربانية على كل امرأة مسلمة، أحب من أحب وكره من كره
>
> ليس غرضهم حرية المرأة ولا كرامتها ولا حقوقها، بل إن مقصدهم الأسمى هو القضاء على دين الأمة وشرفها

إن قضية الحجاب لا تحتاج إلى تأويل، فهي فريضة ربانية على كل امرأة مسلمة، أحب من أحب وكره من كره، فهذه هي شريعة الله التي أرادت الفلاح والسعادة للإنسان في الدنيا والآخرة. فلو قرأ هذا المتغرب القرآن قراءة من أراد أن يهتدي لوجد الحقيقة، لكن عين السخط تبدي المساويا. ﴿فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأبصارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾الحج/٤٦.

إن اللائكيين يريدون أن يتحلل كيان الأسرة المسلمة، وأن تفشو الفاحشة والزنا، وينسى الناس دينهم الذي أخرجهم من الظلمات إلى النور، فبالله عليكم من الذي ظلم المرأة، ومن الذي أهانها، أليس هؤلاء الذين ظلموها بمخططاتهم الرهيبة من أفلام الخلاعة، والدعوة إلى المجون والفساد والدعارة؟!!...

أليس هؤلاء هم الذين اتخذوا حجاب المرأة المسلمة والمرأة وسيلة لحربهم الباردة المسعورة على أحكام الشريعة؟!!...

إن غرضهم ليس هو حرية المرأة ولا كرامتها ولا حقوقها، بل إن مقصدهم الأسمى هو القضاء على دين الأمة وشرفها، هدفهم تغيير أحكام الشريعة لتوافق «الحداثة» و«التقدم» هدفهم هو... فاستخفهم الغرب الصليبي الحاقد وأجلب عليهم بخيله ورجله فأصبحوا عبادا للهوى يلهثون وراء حطام الدنيا الفانية.

يقول ربنا تقدست كلماته: ﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخرة بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ النمل/٦٦.

والطامة الكبرى تكمن في إنكاره - الطالبي - للمصدر الثاني للتشريع الإسلامي، لقد أنكر السنة، حين قال أن الحجاب لا وجود له في القرآن. أليست السنة من مصادر التشريع الإسلامي؟!. يفهم من قوله أن كل أمر لم يرد في القرآن فلا حاجة لنا إليه، وإلى العمل به، على من أنزلت هذه الرسالة؟! إنها أنزلت على نبينا سيدنا محمد ﷺ، فإنكار السنة هو إنكار لهذه الرسالة. يا هذا: من قال لنا إن صلاة الظهر والعصر أربع ركعات والمغرب ثلاث ركعات و...، من علمنا مناسك الحج، من بين لنا الفرائض (الإرث)؟! من.. من...

أليست السنة النبوية الشريفة هي من بينت ذلك؟! فإذا لم تأت السنة ببيان ذلك، فكيف يمكن أن نعرف أوقات الصلاة وعدد ركعاتها...؟!.

من هنا فالسنة هي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي، والدليل الثاني

من الأدلة الشرعية - حسب تعبير علماء الأصول - والأدلة على ذلك كثيرة وكثيرة جداً. مثل قول الله تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ النساء/٨٠، وقول الباري تقدست كلماته: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ الحشر/٧، وقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ النحل ٤٤. وغيرها كثير.

أليس هذه آيات صريحة في وجوب اتباع السنة النبوية الشريفة؟! أليست هذه الآيات صريحة في أن السنة النبوية الشريفة هي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي؟!.

فهل يقتنع هذا المغرض ويرجع إلى جادة الصواب؟! أم كما يقول ربنا الكريم: ﴿إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الموتى وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ النمل/٨٠.

أليس الحجاب يا فرنسا من حرية المرأة ؟! أليس ممارسة الشعائر الدينية من حقوق الفرد ؟! فلماذا تحاربونه ؟!.

المرأة المعاصرة أصبحت مجرد كتلة لحم عاري،مجرد ماركة إعلانات،مجرد مندوب إغواء سوقي،مجرد موظفة لعباد المال!

ب - قاسم أمين والدعوة إلى السفور والفجور:

لقد وصل قاسم أمين الذروة في فجوره وسفوره، يقول: «وهاهم إخواننا أبناء وطننا المسيحيون واليهود الذين تركوا عادة الحجاب من عهد قريب وربوا نسائهم على كشف وجوههم ومعاملة الرجال، فأين هم من الاختلال والهلاك»[٤].

ثم بعد هذا الكذب والبهتان يعلن حربه الضروس على فريضة الحجاب واللباس الإسلامي للمرأة المسلمة ويقول: «والمرأة التي تلزم ستر أطرافها والأعضاء الظاهرة من بدنها بحيث لا تتمكن من المشي ولا من الركوب بل لا تتنفس ولا تنظر ولا تتكلم إلا بمشقة، تعد رقيقة لأن تكليفها بالاندراج في قطعة من القماش إنما يقصد منه أن تمسخ هيئتها وتفقد الشكل الإنساني الطبيعي في نظر «كل رجل» ماعدا «سيدها» و«مولاها»»[٥].

ثم يستمر في غيه وهجومه العنيف،على أحكام الشريعة الإسلامية بقوله: «ولكن ليسمح لي القارئ أنني على بقية فكري فأقول: بقي الحجاب إلى الآن مستمر للأسباب التي بيناها، أي لأنه كان تابعا لهيئتنا الاجتماعية من الجهة العقلية والسياسية والعقلية والأدبية، كنا محكومين بالاستبداد فظننا أن السلطة العائلية لا تؤسس إلا على الاستبداد، فسجنا نساءنا وسلبناهن حريتهن وملكنا وحدنا حق رفع قيد الزواج، واستعملنا في تربية أولادنا الأمر والنهي والإخافة والضرب وكنا جهالا، فتخيلنا أن المرأة لا وظيفة لها ولا عمل إلا أن تكون موضع شهوة الرجل، ووسيلة من وسائل مسرته،وفاتنا أنها هي أيضا مثلنا وأن الحق أن تسعى إلى طلب سعادتها بالوسائل التي وضعها الشارع تحت تصرف الرجل لطلب سعادتهم، فلما أسقطنا منزلة المرأة بغير حق انتقم الحق منا وشدد انتقامه فحرمنا السعادة الحقيقية»[٦].

أي سعادة يقصد هذا المتغرب اللائكي؟! إن السعادة التي يقصدها هي الإباحية وفشوا الفساد، وإطلاق العنان لكل الفجور والمجون... هذه هي آراء قاسم أمين (١٨٦٥-١٩٠٨م)، تم إرضاعه تمام الرضاعة من ثدي الاستعمار الغربي الحاقد، فزرعوه في المجتمع المسلم ليعمل بعد ذلك على الكيد للنيل من الشريعة الإسلامية.انطلاقاً من كتابه الأول «تحرير المرأة» ثم بلغ الأوج في فجوره في كتابه الثاني «المرأة لجديدة» ويعتبر قاسم أمين أول من دعا إلى الفحشاء والفجور والسفور في عالمنا الإسلامي، فسن بذلك سنة سيئة فعليه وزرها ومن عمل بها ومن ناضل تحت لوائها إلى يوم القيامة، إنها مكائد وسموم موجودة بين دفتي كتبه. فهذا هو قاسم أمين الذي هوت به الريح في مكان سحيق.

إن هذه الحملة العنيفة التي شنها أعداء الإسلام على فريضة الحجاب، نتجت عنها نتائج وخيمة، فكانت سببا في التفسخ الأخلاقي والفساد والزنا والفاحشة والإباحية، وتخلخل كيان الأسرة وانهيار المجتمع...

إن فريضة الحجاب أيقظت مضاجع الأعداء، ففكروا في كيفية القضاء عليه، فخلصوا إلى ضرورة زرع بعض البذور الفاسدة في جسم الأمة، ينطلقون من الدين لضرب الدين، وهؤلاء ليسوا في القمر وإنما هم بين أظهرنا ويتكلمون بلغتنا، ويدرسون أبناءنا.

وبعد هذه الخطة لجئوا إلى تعديل قوانينهم - أي الغربيون -، بإضافة بعض المواد التي تمنع ممارسة الشعائر الإسلامية على رأسها الحجاب، وهذا ما فعلته فرنسا، التي صمت آذاننا بشعاراتها الاستعمارية الاستهلاكية البراقة مثل: «حرية المرأة، منع العنف ضد المرأة، المساواة... وهلم جرا من الخزعبلات والطلاسم والأبراج التي تخفي وراءها السموم القاتلة للمسلمين.

أليس الحجاب يا فرنسا اللائكية ويا لائكيو تركيا من حرية المرأة؟! أليس ممارسة الشعائر الدينية من حقوق الفرد؟! لكن الأعداء يزدادون حقدا وغطرسة كلما رجعت المرأة المسلمة إلى دينها وتمسكت بسنة نبيها ﷺ وكلما حاولت أن تتنشل نفسها من براثين التضليل «التحرير بتعبير دعاة التغريب» الذي يسعى بخيله ورجله لإخراجها من بيضة الدين وإغرائها بكل ألوان المغريات لتكشف عن جسدها وتظهر مفاتنها لتحقق مآربهم.

ولا يفوتنا القول أن المرأة المعاصرة - خصوصا المرأة الغربية ومن سار في ركابها من المغربات من بني جلدتنا - أصبحت مجرد كتلة لحم عاري،مجرد ماركة إعلانات،مجرد مندوب إغواء سوقي،مجرد موظفة لعباد المال الذين استثمروها في وكر وكالات دور الأزياء الإباحية والنوادي الليلية والبارات ومدن الدعارة ونوادي التدليك الإباحية أيضا...!

زد على ذلك أن المرأة المعاصرة ما زالت في الحضيض رغم قوانين «المساواة» بين الذكر والأنثى فهي مجرد متعة تتلاعب بها الأيادي الخفية والهمم الغدارة والذئاب المفترسة.

إنها عقبات كئودة تواجه المرأة المسلمة وعليها أن تثبت في هذا الطريق وتتمسك بدينها الحنيف، وتعرض عن الذين يتربصون بها الدوائر. وربنا الكريم يخاطبنا جميعا ويخاطبك أيتها الأخت المسلمة في بلاد المهاجر بقوله:

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ﴾الروم/٦٠. فوعد الله آت لا محالة. والنصر لعباد الله الصالحين رغم أنف اللائكيين والملحدين، الفجر آت، آت، آت... العلاج هو الرجوع إلى القرآن واتباع النبي العدنان عليه الصلاة والسلام، الحل في الإسلام الدواء في شريعة الإسلام.

- مسك الختام :

إن فريضة الحجاب تؤرق دعاة التغريب وتؤرق أعداء الإسلام، وهذه الحملة المسعورة التي أيقظها الأعداء لم تأت من فراغ بل إن فرنسا يوجد فيها أكثر من ٤ مليون مسلم، وهذا الكم الهائل زعزع عرش فرنسا وأرعبها، فخافت أن تتسرب العفة والحشمة والوقار إلى مجتمعها، وخافت من هذه الصحوة الإسلامية المباركة التي تتزايد يوما بعد يوم - التي ما تزيدها هذه الفتنة إلا اكتساحا وثباتا - أن تهدم أركان دولتها وأسسها اللائكية المناقضة للإسلام.

إن فرنسا لما لاحظت تزايد المد الإسلامي، دقت نواقيس الخطر، وأصدرت قانونا ظالما يمنع المسلمات المحتجبات بالدخول إلى المدارس... وقد سار في ركابها مجموعة من اللائكيين من بني جلدتنا[٧] الذين يحملون أفكارا مناوئة للإسلام، فتسللوا إلى ذلك الحصن الحصين والسياج المتين «الأسرة المسلمة» فأصبحوا يهددون حصوننا من الداخل، وأصبحت المرأة المسلمة مستهدفة من قبل شياطين الإنس والجن...

فهذا واقعنا وما خفي أعظم...فهل ترانا ننكمش أمام هذا الواقع؟ وأمام هذه المكائد؟ وأمام هذه الضربات النازلة على ظهورنا؟ أم نستيقظ من سباتنا العميق وننهض من كبوتنا لمواجهة كل التحديات وكل العقبات التي تعرقل مسيرتنا الحضارية؟!.

يجب أن نفهم ماذا يراد بنا وبديننا وبأمتنا حتى نتسلح بالإيمان وبالعلم لمواجهة هؤلاء الكائدين لهذا الدين ونرفض كل ما ينافي أحكام شريعتنا الإسلامية، وكل الخطط التي تريد أن تخضعنا للغرب الصليبي الحاقد، ونرفض كل من يساومونا لنبيع ديننا ببخس دراهم معدودة. كما يجب أن تكون لنا شجاعة لرد كل الشبهات التي يثيرها دعاة التغريب «دعاة على أبواب جهنم» حول ديننا وأحكام شريعتنا، فالخطاب هنا موجه إلى كل فئات المجتمع وعلى رأسهم العلماء، فالكل يجب أن يقف وقفة رجل واحد للتصدي لهذه الهجمات الشرسة على شريعتنا الإسلامية (علماء، أساتذة، طلاب، تلاميذ، نساء...) الكل مستهدف إذن لابد من وقفة يشارك فيها الجميع لرفض كل ما ينافي ديننا. ■■

الهوامش

(١) لائكيو تركيا بدأت شمسهم المظلمة بالأفول، وأصنامهم أخذت تتهاوى، وجاء الحق وزهق الباطل (المحد).

(٢) الإسلام والغرب والمستقبل، ص ١٨.

(٣) «الحجاب وقانون فرنسا حوله وخلفيات إقراره» محمد الطالبي، جريدة الاتحاد الاشتراكي،الجمعة ١٩ مارس٢٠٠٤ .العدد٧٥٢٣.

(٤) المرأة الجديدة ،قاسم أمين، ص: ٩.

(٥) نفسه ص: ٣٤ - ٣٥.

(٦) قاسم أمين «المرأة الجديدة» ص: ٦١.

(٧) ليست فرنسا ولا أوربا هي التي بدأت الهجمة على النقاب والحجاب والعفة بل حاز قصب السبق بعض الدول العربية والإسلامية (المحرر).